مقابلة

أكرم حمدان
akh_shebaa@hotmail.com

قراءة لنتائج الحرب والسيناريوهات المحتملة ملاعب: لقاء وطني ـ دولي لحصريّة السلاح

مع توسع الحرب على لبنان وارتفاع وتيرة العدوان، تدخل البلاد مرحلة جديدة من التصعيد العسكري المفتوح على احتمالات متعددة، وسط رفض العدو الاسرائيلي اي مبادرة ديبلوماسية جدية لوقف اطلاق النار، وتفاقم متسارع في الوضع الانساني، نتيجة ارتفاع عدد الشهداء والجرحى والنازحين من قراهم وبلداتهم، لا سيما من الضاحية الجنوبية لبيروت

في محاولة لقراءة النتائج الممكنة لتلك الحرب من الناحية السياسية والامنية، تتحدث بعض مراكز الدراسات والابحاث عن سيناريوهات محتملة للمرحلة المقبلة.
"الامن العام" حاورت العميد المتقاعد الباحث في الشؤون الامنية والاستراتيجية ناجي ملاعب.

■ كيف تقرأ هذه الحرب وبماذا تختلف عن سابقاتها؟

□ ما قبل 2006 كان العدو الاسرائيلي يستسهل الاعتداء والتوغل وحتى الاحتلال، لكنه كان يدفع ثمن احتلاله على يد المقاومة الوطنية والاسلامية.
اثبتت عملية المقاومة الاسلامية في العام 2006 جهوزية ودفاعا قويا قابله العدو بسياسة الانتقام، فتوغل ودمر ولم يحترم أي بنى تحتية وجسور ومرافق عامة. لكنه لم يستطع تحقيق إنجازات، بل حافظت المقاومة على قواعد الاشتباك التي انهت عملية عناقيد الغضب (1996). عندما شعر حزب الله بنشوة الانتصار، بدأ يسلك طريقه ضمن محور تتزعمه الدولة الاسلامية في ايران، وجاهر بالقتال في سوريا وفي تدريب مقاتلين لعناصر انصار الله اليمنية، وفتح استديوهات اعلامية في اماكن وجوده في الضاحية الجنوبية، واتخذ مواقف معادية لبعض الانظمة العربية الخليجية مما ترك اثارا كبيرة على لبنان لا المجال لذكرها هنا. لكن ذلك انعكس على الدعم الذي كان ينتظره، ولم يحظ به، عندما دخل حرب الاسناد لغزة بقرار منفرد من دون العودة الى الدولة اللبنانية. الحرب الحالية التي يخوضها الحزب، رغم قرار مجلس الوزراء بحظر الاعمال العسكرية، كانت متكأ للعدو الاسرائيلي ليظهر امام العالم انه في وضع دفاعي، علما انه حشد 100 الف من جنوده على الجهة المقابلة للحدود الجنوبية قبل اطلاق حزب الله صواريخه الستة. استغل العدو تدخل المقاومة في الحرب العدوانية التي شنتها اسرائيل والولايات المتحدة على إيران فكانت التداعيات نزوحا، ان لم يكن تهجير حوالى اكثر من مليون لبناني من الاماكن التي طالها القصف الانتقامي المجرم على القرى والبلدات والمدن، عدا التدمير الذي يتقنه العدو بما يمتلك من قذائف ارتجاجية وفوسفورية.

■ ما هي السيناريوهات المتوقعة لنتائج هذه الحرب؟

□ ثمة سيناريوهات متوقعة لنتائج هذه الحرب يمكن اختصارها بأربعة:
اولا: التوصل الى هدنة مشروطة. يقوم هذا السيناريو على احتمال التوصل الى اتفاق قريب توافق فيه اسرائيل على وقف اطلاق النار، ومنح الدولة اللبنانية فرصة للتحرك ضمن تفاهم اوسع معها، مع ترقب اسرائيلي لطريقة تنفيذ حصر سلاح حزب الله، ضمن مهلة لا تتجاوز الشهر كما نقل الوسطاء. غير ان هذا السيناريو لا يعني انتهاء الحرب بصورة كاملة، بقدر ما يعني الدخول في هدنة مشروطة، اذ من غير المرجح ان توافق اسرائيل على انسحاب كامل قبل ان تتيقن من جدية الدولة اللبنانية وفاعليتها في التعامل مع ملف سلاح حزب الله، علما ان صعوبات التنفيذ تستدعي وقتا اطول تداركا لاشكالات قابلة للتطور امنيا وسياسيا.
ثانيا: محاولة اسرائيل فرض واقع عسكري جديد. يفترض هذا السيناريو ان تسعى اسرائيل الى فرض سيطرتها على منطقة جنوب نهر الليطاني، وان تكتفي بذلك، مع مواصلة تكثيف ضرباتها على حزب الله في بقية المناطق. يقوم هذا المسار على محاولة اسرائيل فرض واقع أمني وعسكري جديد في الشريط الجنوبي، تعتبره كافيا من دون الانخراط في توسع بري اكبر واكثر تكلفة. في هذه الحالة، تتحول الحرب الى مزيج من السيطرة الموضعية والاستنزاف الجوي والامني المفتوح على امتداد الساحة اللبنانية، الا ان هذا السيناريو ينطوي على مشكلات واضحة، اذ انه يبقي قوات الاحتلال الاسرائيلي المتمركزة جنوب نهر الليطاني عرضة لهجمات من خارجه، ولا يحقق الهدف الاسرائيلي المعلن، المتمثل في القضاء على حزب الله بصورة تامة، ولا على صواريخه المخزونة في مناطق اخرى خارج جنوب الليطاني، مما يفتح الباب امام سيناريو استمرار الاعتداءات تحت مبرر الخلاص من اسلحة الحزب. هذا ما فعلته وتفعله اسرائيل في غزة، حيث اتمت احتلال القطاع وما زالت تقصف وتبيد تحت ذريعة القضاء على سلاح حماس.
ثالثا: توسع الحرب واستهداف البنى التحتية للدولة. يقوم هذا السيناريو على اتجاه اسرائيل نحو توسيع عملياتها العسكرية الانتقامية، لا سيما البرية منها، مع استهداف جزء من البنى التحتية المدنية والمنشآت الحكومية تحت عنوان ان هذه الاخيرة تخدم عمليات حزب الله. وفي هذا المسار، قد تبدأ اسرائيل محاولة السيطرة على منطقة جنوب نهر الليطاني كخطوة اولى، قبل ان توسع نطاق عملياتها لملاحقة حزب الله في بقية المناطق، وتهدف من خلال هذا السيناريو الى اخضاع الحكومة اللبنانية الى اقامة ترتيبات امنية وسياسية بين لبنان واسرائيل تحت النار.
رابعا: تكرار نموذج حرب 2006 ولو جزئيا. يقوم هذا السيناريو على تمكن حزب الله من رفع التكلفة على اسرائيل، خصوصا في العملية العدوانية البرية، بما يدفع الحكومة الاسرائيلية الى اعادة النظر في جدوى الاستمرار في الحرب

"حزب الله يخوض الحرب رغم قرار حظر الاعمال العسكرية"

الباحث في الشؤون الامنية والاستراتيجية العميد المتقاعد ناجي ملاعب.

المفتوحة، وسلوك منهاج الارض المحروقة لمسافة ما بين 8 و10 كيلومترات، خالية من السكان ومدمرة ومرمية بقنابل الفوسفور بحيث تبقى غير قابلة للحياة، وهو ما تتقنه بحيث تمني النفس بأنها بذلك تكون قد حققت ابعاد الاسلحة المتوسطة والصاروخية المضادة للآليات عن مستعمرات الجليل، او يدفعها على الاقل الى التفكير في العودة الى صيغة اتفاق او تفاهم يثبت ما حققته من دون الوصول الى القضاء على الحزب بشكل نهائي. وفي هذه الحالة، قد يتمكن حزب الله، مهما بلغت خسائره وجراحه، من تقديم نفسه بوصفه غير مهزوم في هذه الحرب، وهو امر سيستميت لتحقيقه سياسيا.
صحيح ان هناك نقاط تشابه مع حرب 2006، سواء من حيث تنفيذ اسرائيل ما يسمى "عقيدة الضاحية"، او كون حزب الله هو المبادر الى اشعال هذه الحرب، او من جهة التحضير لعملية برية في الجنوب، الا ان الفارق هذه المرة كبير على مستوى الظرف الاقليمي والداخلي والعسكري. فسوريا اليوم ما عادت حليفا لحزب الله، بل تبدو في موقع يحاصر الحزب بدل ان يشكل عمقا داعما له، مما يقطع خط امداده العسكري، ويجعل اي سلاح يستخدمه في المعركة غير قابل للتعويض بسهولة. ثم ان حزب الله يدخل هذه الحرب بعد معركة طاحنة تبعها استنزاف واسع على امتداد 15 شهرا، خسر خلالها آلاف المقاتلين، وعددا كبيرا من كبار قادته، فضلا عن تراجع مهم في مقدراته وامكاناته، لا سيما في جنوب نهر الليطاني، في ظل معاناته من اختراق أمني كبير. يضاف الى ذلك انهاك الراعي الايراني، وانشغاله بنفسه، وتراجع قدرته على الاسناد بالمستوى الذي كان قائما في مراحل سابقة، فضلا عن التطور التكنولوجي الكبير الذي بلغته اسرائيل، الى جانب ان الحزب المنهك يبدو مضطرا الى توزيع قواته بين البقاع والجنوب بشكل متوازن، خشية اعمال عسكرية من الجبهة الشرقية وعمليات انزال اسرائيلية مكثفة. فوق ذلك، تبدو اسرائيل اليوم، بعد ما جرى ويجري في حرب غزة، اكثر استعدادا لتحمل الخسائر وخوض حرب طويلة، واكثر اندفاعا نحو تعميم نماذج الابادة التي مارستها هناك، عبر المفاخرة بنموذج خان يونس ومحاولة تعميمه، مستفيدة من ضوء اخضر اميركي مطلق، وهذا يعني ان تكلفة صمود حزب الله وبيئته ستكون مرتفعة للغاية. من هنا، فان طموح حزب الله تكرار تجربة 2006 يبقى رهنا بالميدان، وان كانت المهمة تبدو أكثر صعوبة هذه المرة، لا سيما في ظل مواجهته الحصار الرسمي من الدولة اللبنانية، والتي خطت طريق حظر السلاح خارج المؤسسات العسكرية والامنية، بقناعة ان لبنان لن يكون مقرا او ممرا لعمليات عسكرية، في ظل معاناة داخلية اوصلت البلد الى حافة الانهيار الاقتصادي والمالي. في خلاصة جميع هذه السيناريوهات، يبدو ان الخارطة اللبنانية، تواجه بقاء الضغط شاملا ومتعدد المستويات، حيث ستظل هذه المسارات رهن تطورات الاقليم، من مآلات الحرب على ايران الى احتمال تبدل الموقف السوري وطبيعة انخراطه في المرحلة المقبلة. الى جانب ذلك، سيستمر الضغط على الدولة اللبنانية لدفعها الى ممارسة ضغط عملي أكبر على حزب الله، مما يضعها امام استحقاق بالغ الصعوبة بين متطلبات الخارج وتعقيدات الداخل، وحدود قدرتها الفعلية على التنفيذ، فضلا عن هاجس تقديم تنازلات مجانية الى اسرائيل من دون ان تنال في المقابل ضمانات او تعهدات او تنازلات.

■ كيف يمكن فهم ما يجري وربطه بين مصلحة لبنان الوطنية والمصالح الخارجية الاخرى؟ ◄

◄ □ تتأرجح المواقف بين القضايا القومية والمقومات الوطنية اللبنانية. فلبنان الذي تقبل تداعيات اتفاق القاهرة للعام 1969 وانعكاساته على الوضع اللبناني، بدأ يتحمل عبء القضية الفلسطينية منفردا، فقد حصر النضال القومي العربي في جبهة الجنوب. ولا ننسى كذلك إبعاد مقاتلي منظمة التحرير من الاردن الى لبنان بعد احداث ايلول الاسود للعام 1970 ما عرض البلاد للاعتداءات والاحتلالات المتكررة. وبذلك ترسخت ما بين ابناء الجنوب والاحزاب والقوى الوطنية فكرة المقاومة والنضال لتحرير الارض، فوجدت منظمة التحرير الفلسطينية موئلا لها عبر هذه المكونات. وعند اخراج منظمة التحرير من لبنان عام 1982 نشأت المقاومة الوطنية والتي وجدت فيها الجمهورية الاسلامية في ايران ساحة مستباحة تستطيع بواسطتها تأمين الحضور الدولي عبر تبني القضية الفلسطينية، فيما انشأت محورا للمقاومة استفاد منه الجنوب اللبناني وعانى منه لبنان الوطن. اليوم، تلتقي المصالح الدولية مع المصلحة الوطنية اللبنانية، لأول مرة، في حصر السلاح بيد القوى النظامية، وكذلك امتلاك قرار الحرب والسلم. هذا قد يمهد الى بناء استراتيجية امن قومي تمكن الدولة من تعهد الدفاع عن السيادة امام العدو.

"مبادرة الحزب كانت متكأ للعدو ليظهر انه في وضع دفاعي"

■ كيف يمكن تفادي تكرار هذه التجارب وما هو المطلوب سياسيا؟

□ امام الشهية الاسرائيلية المتجددة للهيمنة والتوسع والرعاية الاميركية للمشروع الاسرائيلي، لا يجوز ترك الساحة مجددا، بحيث ينبغي ان يبدأ لبنان الرسمي بإقرار استراتيجية الامن القومي التي توفق ما بين حماية السيادة وحصر كل السلاح بيد الدولة، وهذا ما وعد به فخامة الرئيس في خطاب القسم. ولا يغيب عن بالي ان يكون هدف اسرائيل من توجيه الانذارات لكل سكان القرى ما بين الزهراني ونهر الليطاني ان يلجأ الى احتلال تلك القرى ووضع اليد على كامل مياه النهر اللبناني المنبع والمجرى والمصب، وهو كان قام سابقا بعملية توغل باسم "عملية الليطاني".

■ ما هي النتائج السياسية والامنية لهذه الحرب وكيف يمكن الابلال منها؟

□ على الصعيد الداخلي، ارى ان التأكيد على مسلك وخطاب قيادة الجيش والقوى المسلحة كافة للحفاظ على السلم الاهلي والوحدة الوطنية، هو الطريق الاسلم لنجاة البلاد من هذا المخاض الصعب، مما يلزم وضع حد لتحايل كل المكونات الوطنية على عدم تطبيق الاصلاحات التي وردت في اتفاق الطائف. يندرج في هذا السياق، بناء الدولة الوطنية على اسس حديثة عبر مجلس نيابي من خارج القيد الطائفي، ومجلس شيوخ يعطي الامان لـ "ملوك" الطوائف - هذا من الناحية السياسية - اما امنيا، فاقترح ان تستبدل وزارة الداخلية بـ "وزارة الامن الداخلي"، وتخضع بقية الشؤون الادارية لوزارة تسمى "وزارة الشؤون الادارية والتنمية". ينبغي كذلك اعادة الالتفاف حول الدولة، وتغليب المصلحة الوطنية من دون الدخول في محاور ذات مرجعية خارجية، ووقف المهاترات الإعلامية، وتحديث القوانين لمحاسبة كل من يخل بالوحدة الوطنية.

ark
Paintings & Frames...

Arz 03-829172 | Ramy 03-617158

Antoine Khalil bldg, Daychounieh,
Mansourieh, Beirut, Lebanon

T/F: +961 4 401757
khalilb@inco.com.lb